عشرون عاما

في عالم التحرير

اسكندر شاهين

في أواسط الشهر الجاري يغـادر مصر حضرة الكاتب المعروف اسكندر افندى شاهين رئيس تحرير جريدة « الوطن » قاصداً الديار البرازيلية—وحضرته من الكتّاب المجيدين في اللغتين العربية والانجليزية فأحببنا بهذه المناسبة ان ننشر للقرّاء صورة هذا الصحافي القديم ، وان نُشيّعَهُ بكلمة وداع باسم الصحـافة التي خدمها زهاء ربع قرن ، سائلين له في غربته كلّ توفيق ونجـاح. وقد نشرنا في الصفحات التالية كلمته في وداع مصر ، قال :

في مثل هذا اليوم من عشرين سنة مضت — في اليوم الأوّل من شهر يوليو سنة ١٨٩٣ — رأيتُ ان أبتاع من بعضهم جريدةً أسبوعية اسمُها « الرأي العام» كنت أطبعُها لشابَّين سوريَّين لم يتفقا على تحريرها، ولكنهما اتفقا على تركها لي ؛ فاشتغلتُ بها من ذلك اليوم ، وجعلتُ أغيّر ما بها على مهلٍ ، وأحرّرها من رقّ الرياء ، لأنها نشأت على عبادة السلطان عبدالحميد ومدح أبي الهدى ، وما بقيَ من أساليب الوطنية التي كانت شائعةً في ذلك الزمان ، حتى جعلتها « الرأيَ العام » المعروف في أوائل هذا القرن وأواخر القرن الماضي . وتدرّجتُ منها الى الإشتغال بتحرير الجرائد اليومية ، وبغير هذا من فنون القلم الى ان بلغتُ هذا النهارَ من عمريَ الصحافي ، وذكرتُ ذيّاك العمرَ الطويلَ وهاتيك الحوادث الكثيرة والعبر المتوالية ؛ فقلت إني آنَ لي أن أستريحَ قليلاً من عناء حرفةٍ لم تفارقني ولم أخنْ عهدَها في كلّ هذه السنين ؛ لعلّ الراحةَ تجدّد القوى وتنسي بعض الذي مرّ من متاعب التحرير والتحبير

وماذا أقول وما الذي أسطّر هنا من خزانةٍ وعت أموراً تضيق بها المجلدات ، وذاكرةٍ طالما أغنتني عن بعيد الكتب وعزيز المؤلفات ؛ لعمرك لو انني أسطرُ عشرَ الذي يجول الان في ذهني بينا أنا أخطّ هذه السطور لاغنيتك عن مطالعات أسبوعٍ أو شهرٍ من الزمان . أقول ذلك لانني ذاهبٌ الى ابعد القارّاتِ عن هذا القطر لاقضي فيها اشهراً ، وليس يدري غيرُ الله كيف يكون الختام . ان النفسَ ألفت بلاداً قضيت فيها زهرةَ العمر وجئتها من نحو ٢٩ عاماً ؛ فعسيرٌ عليها أن تحنّ الى وادٍ

غير وادي النيل ، أو ان تطلبَ اللقاء بخلاًّ غير الذين عاشرتهم كل هذا العمر الطويل . فسواء جرت سفينة الارزاق بما تشتهي نفسي وتتمنى جوارحي ، أو سارت الاقدار بي في سبيلٍ آخر ، فلأذكرنَّ عهد الولاء الى آخرِ العمر . واللهُ يفعل بعباده ما يشاء

ولقد ساءني اناسٌ مدةَ هذه السنين وساء ظنهم بي فكانوا يتهمونني في أوّل الأمر بخيانة الدولةِ وعداءِ السلطان ؛ ثم رجعوا الى رأيي بعد ان طال عهد الجفاء . واتهموني بعد ذلك بمصانعة الدولة الانكليزية لانتفعَ باموالها ؛ ثم ظهر ان التهمةَ أبعد عن الصدق مما بين القطبين . وقالوا اني كنتُ مفرّقاً بين طوائفِ المصريين ، فثبت نقيضُ الذي قالوا بعد ان تغيرت بعضُ الخواطر الى حين . وقد مضى الآن زمان هذه المزاعم ومضى تأثيرها ، فكان على الجملة كما اتمنى ، وبقيَ في الاذهان عامةً حقيقة اعدُّها اثمنَ من المال المكنوز ؛ الا وهي انني خدمت الحقَّ في كل حياتي الصحافية خدمةَ الذي يقدّمُ الحقَّ على كل مصلحة أو شأن . وعرفتُ بالصدق لا يختلفُ ضميري عن لساني ، ولا تخون نفسي الحقّ في حال من الاحوال . هذا هو فخري وهذا جزائي من الناس بعد الاشتغالِ عشرين سنة بالكتابة والتحرير ؛ ونعم الجزاء ونعم الاجرُ الكبير

وليس يؤخذُ مما تقدّم أنني ادّعي العصمةَ والكمال ؛ بل إن خطتي كانت خطةَ الصراحة والصدق . فسواء صدقت آرائي في هذه المسائل العديدة التي كتبتُ فيها أو أخطأت ، فانّ القولَ كان صادراً عن اعتقاد بصحته ، وعن عزمٍ على ايراد الحقيقة واهمال كل مصلحة يفيد فيها

الكذب والرياء . فاذا قدّر لي أن أعودَ الى هذا القلم رجعتُ اليــهِ ولم ارجع عن المبدإ الذي أفخر بهِ وقد رأيته انفعَ من مباديءِ الذين يتقلبون مع الاهواء ، ويبدون في كل يوم بشكل جديد

واسأتُ في ما مضى الى كثيرين ايضاً ربما كان معظمهم من الزملاء الذين يقضي اختلافُ الرأي بمجادلتهم من حين الى حين . والله يشهدُ أني ما جرحتُ نفساً بقصد ايلامهـا ولا تهجمت على رجل بالطعن ، وأني كنتُ أحزنُ لما يصيبُ الخصمَ الصحافي ولا حزنَ اصحـابه والاخصاء الاقربين . على ان المطاعنَ الصحافية كلها خطأ قبيح ، ولا بدَّ أن يكون قلمي قد زلَّ مراراً وأغضبَ بعض الرفاق فاسألهم الصفحَ والمعذرة ، وأرجو ان يكون عامنا الحالي اخرَ أعوامِ التجريح والمشاتمة في عالم التحرير

قلتُ انَّ الذي تعيذاكرتي من حوادث هذا العمر الصحافي والذي يعنُّ لي ايرادهُ شيء كثير . فاذا شاء قراء الوطن ان اوافيهم بشيء من هذا ومما يفيدني الاختبار القادم في قارة اميركا الجنوبية فعلتُ بعد ان اذوق الراحة أياماً . واماَّ اليوم فاكتفي بشكرٍ عام ارسلهُ الى كل صديق كريم وذي وداد طلب لي الخير فيما مضى ؛ وأسأل الله ان يوفق كلاً منا الى الغرض الذي يطلبه ، وان يديمَ ايامَ الصفاء والهناء لجميع الاخوان الذين عرفتهم في وادي النيل

اسكندر شاهين